آلات الموت الثلاث

للكاتب الانجليزي تشسترتن

« تشسترتن شاعر وقصصي وروائي يمتاز بدعابته المرحة ونكتته اللاذعة كما تمتاز قصصه البوليسية عن قصص سير ارثر كونان دويل بروحها الأدبي وأسلوبها الأخاذ ، ومن أشهر مؤلفاته كتابه عن برنارد شو وهو كتاب ينتزع من الانسان نفسه ويأخذ على القارىء كل تفكيره ، ويسلس القارىء جانباً من مهارة هذا الكاتب في فن القصة وتهيئة الجو لها وخلق المشاكل الكثيرة حول أبطالها في هذه القصة التي أنقلها اليوم والتي تعتبر بحق من أروع القصص البوليسية دقة وتركيباً »

عرف الأب « براون » عن طريق الوعظ والايمان أن الانسان يطهر بالموت وأن روحه تسمو بانفصالها عن الجسد ، ولكنه لم يكد يعلم بقتل سير « أرون امسترونج » حتى أحس بالألم يحز في قلبه والحزن يعمل في فؤاده . واستولى على الناس كثير من الحيرة والدهشة لاعتقادهم أن سير أرمسترونج شخصية مرحة لا يتطرق إليها اليأس ولا تبتئس لدواهم الخطوب ، فقد كان سليم الجسم صحيح العقل منبسط المزاج ، تأخذ أحاديثه السياسية والاجتماعية بعقول الناس بأسلوبه الفكه ونكتته البارعة . ولا غرابة في هذا فقد انصرف عن تعاليم الكنيسة الاسكتلندية إلى خمور أدنبره وقضى فيها زهرة شبابه . ثم ودع الحياتين « حياة الدين وحياة الشراب » وسلك في الحياة طريقاً خاصاً لا يدري الانسان إن كان فيه من اتباع كلفن أو من رواد الحانات ، وإن كان وجهه المستدير ولحيته البيضاء وعيناه اللامعة تبعث في نفوس الناس شعوراً مزيجاً من الرزانة والمرح

عاش في بيت ريفي جميل قد شاده على نمط القلاع القديمة قريباً من طريق السكة الحديدية ، إلا أن أعصاب هذا السيد لم تكن لتتأذى من دوي القطر أو جلجلة العربات

لم يكد القطار يدنو من المنزل حتى اندفع إليه رجل لا يكاد المرء يفرق بين سواد وجهه وسواد ثوبه ؛ وأخذ يلوح بقفازه الأسود ويصيح في صوت حادٍ ممدود : قتيل ! قتيل ! لم يكن هذا الرجل الأسود إلا خادم السيد أرمسترونج ، فوقف القطار وأسرع الناس إلى المنزل فرأوا شيخاً ملقى على الأرض في ثوب أصفر قد لُف حول ساقه حبل طويل . وأغلب الظن أن الشخص الذي لف هذا الحبل قد لقي كثيراً من المقاومة والصراع من القتيل . كان ذلك الشيخ الملقى على الأرض هو السيد أرمسترونج

وفي تلك الساعة الرهيبة برز سكرتير القتيل « باتريك رويس » وهو رجل معروف من رجال الفن وأصحاب الحانات ؛ ثم جاءت في أثره ابنة الشيخ المتوفى « أليس » ترتجف وتلهث . ثم أرسل في طلب الأب براون فلبي على عجل . فلما جاء إلى المنزل رأى رجلاً من البوليس السري يدعى « مرتون » فانتحى به جانباً من الحقل المجاور للمنزل وأخذا يتحادثان في أمر هذا القتيل !

فقال مرتون : الواقع أني لا أرى شخصاً تحوم

عليه الشبهة ، فمجنوس رجل غبي أبعد الناس عن أن يكون سفاكاً للدماء ؛ ورووليس صديق حميم للقتيل منذ عهد بعيد ، ثم إنه معبود ابنته (أليس) فلا يمكن أن يرتكب مثل هذا الجرم ويهدم سعادة هذا البيت المرح

— فأجابه براون : أجل ! لقد كان بيتاً مرحاً قبل أن يموت صاحبه . أفتظن أنه سيبقى كذلك بعد غياب سيده ؟

— أجل . لقد مات ! !

فمضى الأب براون يقول : لقد كان مرحاً حقاً ، ولكن هل كان هذا المرح شائعاً فى نفوس الآخرين الذين كانوا يقاسمونه العيش ؟ !

فأثار هذا الكلام شكوك مرتون وأخذ يفكر فى حياة ذلك الشيخ

لقد كان المنزل قابضاً للنفس ، وكانت غرفه عالية ضيقة باردة يسري فيها بصيص من الضوء الباهت كضوء القمر بل أشد شحوباً ! وكان كل شيء فى المنزل يبعث فى النفس الكآبة والضيق والنفور . كذلك كان الأشخاص الذين يقيمون فيه : فالخادم مجنوس كان يلوح في قفازه الأسود الكبير كأنه طاغوت ثقيل ؛ والسكرتير رويس كان يُرَى فى لحيته المستديرة الكثة ، وجبهته التى ارتسمت عليها التجاعيد قبل الأوان ، مثقل القلب محطوم الفؤاد مصدوم الأمانى . أما أليس فلم يكن فيها من صفات والدها شيء ، فقد كانت شديدة الحساسية مرهفة الأعصاب حتى أن مرتون طالما أشفق عليها وعجب كيف تنام تلك المخلوقة الحساسة على صفير القطر وجلجلة العربات ؟ !

ثم استطرد الأب براون قائلاً : إني واثق من أن المرح الذى كان فيه سير ارمسترونج لم يغمر المنزل كله . قد تقول إنه ليس هناك من يفكر فى قتل هذا الشيخ ، ولكننى لست متأكداً من هذا

فصاح مرتون قائلاً : « وهل تظن أن الناس لا يحبون المرح ؟ »

فأجابه براون : إن الناس يحبون الضحك المتواصل ، ولكنى لا أظنهم يحبون الابتسام الدائم . فالمرح الخالى من الدعابة هو من أثقل الأشياء على نفوسهم

ثم مضيا صامتين فى ذلك الطريق المخضر لا يسمعان إلا صفير الرياح وهسيس النبات حتى أتيا رابية صغيرة تشرف على المنزل فوقفا هناك ، وأخذ الأب براون يتحدث كمن يريد أن يزيح شيئاً ثقيلاً عن نفسه فقال :

« إن الشراب ليس خيراً ولا شراً فى ذاته ، ولكنى أشعر أحياناً أن كثيرين من الناس يطلبون الكأس من وقت إلى آخر لتسكن ثائرتهم وتهدأ أعصابهم . ثم التفت حوله فرأى رئيس البوليس السرى قادماً إليه ، فبادره مرتون بالسؤال :

— هل كشفت سر الجريمة ؟

— فأجابه « جليدر » وقد أخذ النوم بأهداب عينيه : « ما من سر هناك » فابتسم مرتون وقال « حسن ، ولكنى أراه سراً »

فرد عليه الرئيس وهو يمشط لحيته بأصابعه : لم يمض على ذهابك إلى الأب براون دقائق حتى وقفت على الحقيقة كلها . أنك تعرف ذلك الخادم ذا القفاز الأسود الذى أوقف القطار

— أوه . يجب أن أعرفه . فقد أفزعنى

— ثم استطرد جليدر قائلاً : حسن . فلما مضى القطار مضى معه ذلك الأسود

يالله من مجرم ثابت ! يريد أن يهرب بنفس القطار

الذى ذهب لاحضار البوليس

— وهل أنت واثق تماماً من أنه هو القاتل ؟

— نعم يابني إنى متأكد من هذا ؛ فقد هرب حاملاً معه العشرين ألف جنيه من الورق ؛ ولكن المهم الآن هو أن نعرف كيف قتله . فقد وجدنا الجمجمة مكسورة كما لو كانت مشجوجة بآلة ضخمة ، ولكنا لم نجد شيئاً حوله ألبتة . وليس من المعقول أن يحمل القاتل تلك الآلة ما لم تكن صغيرة جداً بدرجة لا تلحظ

فقال القس : ولكن ربما كان الموت بآلة أكبر من أن تلحظ .

فعجب جليدر لتلك الملاحظة الغريبة ونظر إليه يستوضح قصده

فأجابه الأب براون . إن سير أرمسترونج المسكين قد قتل بآلة مارد جبار

آلة أكبر من أن ترى هي التي نسميها الأرض . لقد ألقى به فى هذه البقعة الخضراء التى نقف عليها الآن .

— ماذا تعنى ؟

فصوب الأب براون بصره إلى المنزل فرأى نافذة مفتوحة قرب قمته فقال وهو يشير إلى تلك الفتحة الصغيرة : « ألا ترى ! لقد ألقى به من هناك ! »

فنظر جليدر إلى النافذة وقال : من المحتمل جداً أن يكون هذا ، ولكني لا أدرى علة ترجيحك هذا !

فحملق الأب براون بعينيه الواسعتين وقال : لماذا ؟ ألم تر الحبل حول ساق الرجل ؟ ألم تر قطعة أخرى من الحبل مثبتة في النافذة ؟

— إنك مصيب فى هذا يا سيدى . إنى أسجل لك هذا .

وفى هذه الأثناء كان القطار قد وصل حاملا نفراً من الجند ومعهم مجنوس فصاح جليدر ، وهو يقفز إليهم فى خفة وسرعة : لقد أتوا به !

فدنا منه مجنوس وقال : أين المفتش ؟ فلما سمع الناس صوته عرفوا كيف استطاع أن يقف القطار . لقد كان زرى الهيئة دميم الصورة لم ينق دمه بعد من لوثته القديمة ، ولكن صوته كان نافذاً قوياً قدر ما كان وجهه شاحباً ميتاً . ثم صاح بصوت مدو رنان : كنت أتوقع هذا ! ثم لوح بقفازه فى الهواء فنظر إليه جليدر بعين غاضبة ونادى الجاويش وقال : ألا تنوى أن تغل يدى ذلك المخلوق ؟ يبدو لى أنه خطر

— حسن ياسيدي . ولكنى لا أظن أننا سننفذ هذا

— ماذا تعنى بهذا ؟ ألم تقبضوا عليه ؟

— أجل لقد قبضنا عليه وهو خارج من نقطة البوليس حيث أودع أموال سيده لدى المفتش « روبنسون »

فنظر جليدر إلى الرجل دهشاً وقال : لماذا فعلت هذا ؟

— لآمن بها يد المجرم

— إن أموال السيد ارمسترونج يجب أن تترك سليمة لأسرته

وفى هذه اللحظة علا صفير القطار واشتد قرع الأجراس فغاب فيه صوت الرجل الأسود ولم يسمع منه المفتش إلا هذه الجملة :

« ليس لدىّ ما يجعلنى أثق فى أسرة ارمسترونج »

— فأجابه رويس في صوت خافت : عليك أن

تفكر فيما تقول ، فإنك تزعج مس ارمسترونج بهذا الكلام !

— إنى أود هذا . فقد طالما رأيتها ترتجف ، تارة من البرد ، وتارة من الخوف . ولكنى واثق من أنها كانت ترتجف من الغيظ والحنق . لقد كانت تود أن تفر اليوم مع حبيبها حاملة معها كل المال ، لأن سيدى المسكين قد رفض أن يزوجها من ذلك الحارس

فقاطعه جليدر قائلاً : صه ! فلا يعتينا اليوم شكوكك عن أسرتك مالم تدعم هـذه الشكوك بالشواهد العملية

— سأقدم لك أدلة قاطعة على صحة ما أقول « فقد أسرعت إلى الرجل وهو مربوط فى النافذة فرأيت ابنته تترنح فى مشيتها ممسكة خنجراً فى يدها . أرجو أن تسمح لى أن أقدم هذا إلى الجهات المختصة ؛ ثم أخرج من جيبه سكيناً طويلاً وقدمها إلى الجاويش . فازداد حنق مرتون عليه وطلب من جليدر أن يسمع أقوال مس ارمسترونج ، فصرخت الفتاة وهى واقفة كأنما أصابها شلل ، ولم يبق فيها من علائم الحياة إلا عيناها اللتان تلمعان تحت جبين شاحب مغضن قد تهدل عليه شعر أسود قاتم . فالتفت إليها جليدر وقال :

— إن هذا الرجل يقول إنه رآك ممسكة سكيناً وأنت لا تكادين تشعرين بنفسك بعد القتل

فأجابته (أليس) قائلة : إنه صادق

وعندئذ اندفع باتريك رويس بين الجند وهوى على مجنوس بقضيب كبير من الحديد ؛ فأسرع الجند إليه وألقوا القبض عليه وصاح فيه جليدر قائلاً :

— سأقبض عليك من أجل هذا العمل

— لا بل اقبض على بتهمة القتل

— ماذا تعنى ؟

— إن ما يقول هذا الرجل صحيح ، فإن مس ارمسترونج كانت ترتجف وهى ممسكة السكينة فى يدها ، ولكنها لم تختطف السكينة لتقتل أباها بل لتدافع عنه

— تدافع عنه ! ! ضد من ؟

فأجابه السكرتير : ضدى

فنظرت إليه أليس بوجه معقد غامض ثم قالت فى صوت خافت :

— إنى أشعر بالرغم من هذا بالفرح لشجاعتك

فقال رويس : هيا اصعدوا معى فسأريكم كيف حدثت تلك المأساة . ففى تلك الغرفة العالية حيث كان ينام السكرتير كان موطن السر لتلك الجريمة المروعة ؛ فعلى الأرض ألقى مسدس حديث الطلق ، وبالقرب منه زجاجة من الخمر مفتوحة غير أنها لم تكن فارغة تماماً . ثم إن غطاء المائدة كان مطويًّا وقد وجد عليها حبل طويل شبيه بذلك الذى كان حول ساق القتيل

ثم قال رويس فى سذاجة الطفل : كنت أشرب عندئذ . إنكم تعرفون كيف بدأت قصتى وقد تنتهى إلى مثل هذه النهاية . لقد سمعت الناس يصفوننى بالذكاء أحياناً ، وكان فى استطاعتى أن أعيش سعيداً ، فقد أنفذ ارمسترونج البقية الباقية من عقلى وجسمى بعد أن أتت عليها الحانات والمقاهى ؛ وكان دائماً يحبونى بعطفه وحبه إلا أنه

لم يسمح لى أن أتزوج أليس . ربما كان محقًا فى هذا . أظن أنكم لستم فى حاجة إلى مزيد ... فها كم زجاجة الويسكى لا يزال فيها بقية ملقاة على الأرض وها كم المسدس الذى أفرغته حديثاً ، وبقية الحبل الذى أوثقت به الرجل وألقيت به من النافذة . إنكم لستم فى حاجة إلى بوليس سرى يكشف عن مأساتى فهى ظاهرة للعيان ، وهأنذا أقدم نفسى لأستوفى جزائى ! !

فهم الجند بالقبض عليه لولا أن صوت الأب براون دوّى عالياً وهو يقول :

— قفوا . إن هذا مستحيل . لقد كنتم تقولون أولاً إنكم لم تجدوا آلات ، ولكنا قد وجدنا الآن كثيراً . فهاهى السكينة للطعن ، والحبل للخنق ، والمسدس للطلق . ثم إن القاتل قد كسر رقبة ضحيته بأن ألقى به من النافذة . لا يمكن أن يحدث هذا كله ، فإن هذا القتل يتنافى مع مبادئ الاقتصاد . ثم إننا نجد أشياء لا يمكن أن تحدث . فهذه الثقوب التى نراها فى البساط حيث نفذت فيها الرصاصات الست . فهل يطلق الإنسان النار على البساط ؟ إن المخمور يصوب المسدس إلى رأس عدوه ، فهو لا يهجم على قدميه أو يرسم العلامات لقفزاته . ثم الحبل ، فكيف يصدق العقل أن إنساناً يضع الحبل فى عنق إنسان ثم يعود فيربط به ساقه ؟ إن رويس لم يكن على أية حال غائباً عن عقله حتى يفعل هذا ... ثم دنا من رويس وقال : إنى آسف يا عزيزى أن أقول لك إن قصتك تافهة بعيدة عن الحقيقة ...

ثم انتحت أليس بالقس بعيداً وأخذت تقول له : إنك رجل ذكى وإنى أعرف أنك تحاول إنقاذ رويس ، ولكن عبثاً تحاول . إن كل شىء يقف ضد ذلك الرجل الذى أحب ...

فنظر إليها براون وقال لماذا ؟

— لأنى وجدته بنفسى يرتكب جريمته

— وماذا عمل ؟

— لقد كنت فى الغرفة المجاورة لهما ؛ وكان البابان مغلقين ، وفجأة سمعت صوتاً لم أسمع مثله من قبل يدوي كأنه الرعد: « الجحيم! الجحيم! الجحيم! » ثم سمعت البابين يهتزان من أثر الطلقة الأولى . سمعت هذا ثلاث مرات قبل أن أفتح البابين وأرى الدخان يملأ الغرفة . لقد كان ينبعث من المسدس الذى كان فى يد باتريك المسكين وهو يطلق الطلق الأخير ... ثم رأيته يقفز إلى أبى الذى كان ممسكاً بالنافذة . يالله من منظر مروع فظيع وهو يزمجر ويصيح محاولاً أن يحبس أنفاسه بالحبل الذى ألقاه على رأسه ، ولكن الحبل انزلق عن كتفه إلى ساقه من أثر المقاومة العنيفة ثم أخذ يجره كالمجنون . فاختطفت سكينه واندفعت بينهما لأقطع الحبل قبل أن يستولى علىّ الضعف والإغماء

فأجابها الأب براون : إنى فاهم . أشكرك !

ثم تركها غائبة فى ذكرياتها المؤلمة الثقيلة ومضى إلى جليدر ومرتون ومعهما رويس ، فقال لهم : لقد أخبرتكم أن هناك آلات كثيرة لم تستعمل للقتل ، فالسكينة الملطخة بالدم والمسدس والحبل كانت أدوات رحمة وإنقاذ لم تستعمل فى قتل سير ايرون بل لإنقاذه

فأجابه جليدر — لإنقاذه ؟ ومم

فقال الأب براون : من نفسه ، فقد كان مجنوناً يهم بقتل نفسه

فصاح مرتون فى نغمة المبتهج المتشكك : ماذا ؟

— انها نوبة دينية تستولى عليه من وقت إلى آخر . فلماذا لم تتركوه ينفّس عن نفسه بالبكاء كما كان يفعل آباؤه . لقد ضاقت به الحيل ، وسدت أمامه السبل . إذ كان وراء ذلك النقاب المرح الطروب عقل شاك وقلب خال من الايمان . فكان إذا ماجاءته تلك النوبة انكفأ إلى الشراب يعب منه ما ينسيه نفسه . وكان يعتقد أحياناً أنه فى الجحيم التى طالما أنذر الناس من شر عذابها . وهذا هو ما كان عليه اليوم فقد أخذ يهذى كالمحموم ، واندفع إلى الموت كالمجنون ، وأخذ يحتال عليه بشتى الطرق : بالحبال والسكينة والمسدس . فاتفق عندئذ دخول رويس فألقى السكينة خلفه على البساط واختطف المسدس . ولما لم يجد لديه وقتاً ينتزع منه الرصاصات أخذ يطلقها فى الأرض الواحدة بعد الأخرى . ولكن المنتحر رأى أمامه طريقة أخرى للموت فاندفع إلى النافذة . فلم يسع المنقذ إلا أن جرى خلفه بالحبل محاولاً أن يربطه من ذراعه وقدمه ؛ وعندئذ دخلت الفتاة فأساءت فهم ذلك الصراع العنيف الذى كان بين الاثنين فأسرعت إلى والدها لتنقذه ، وعملت على هـذا حتى تقاطر منها الدم ، ولكنها استطاعت قبل أن تخور قواها أن تخلص والدها فهوى من النافذة إلى الأبدية !

فالتفت جليدر إلى رويس وقال : أظن أني لم أخطئ عندما قلت لك وللفتاة أنكما بعيدان عن القتل !

— فأجابه رويس : ولكن ألا ترى أنى قلت هذا لكى لا تعرف خطأها !

— فقال مرتون : لا تعرف ماذا ؟

— انها قتلت أباها أيها المغفل !

— انها ستجن لو أنها عرفت هذا

— فقال الأب براون وهو يتناول قبعته : لا أظن هذا . إني أفضل أن أخبرها بالأمر . فان أبشع جرائم القتل لا تسمم الأفكار كالخطايا . ثم انصرف

وبينما هو فى طريقه إلى منزله قابله أحد أصدقائه فقال له :

— لقد وصلت النيابة الآن وستباشر التحقيق !

فأجابه الأب براون : يؤسفنى ألا أحضره ! !

(يتبع)

المجموعة الأولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات فتى المعصر لموسيه ، والأوذيسة لهوميروس ، ومذكرات نائب فى الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعة ومنقولة .

الثمن ٣٤ قرشاً مجلدة في جزءين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجرة البريد